حدود التمايز بين اللسانيات الاجتماعية واجتماعية اللغة

د. عبدالإله الوزاني الشاهدي

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي

وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة

مقدمة

تتطلب عملية الإنتاج في أي علم من العلوم ضبط مصطلحاته ضبطا دقيقا، والتحكم في استعمالها وفهم سياقاتها وطرق توليدها وظروف نشأتها في لسانها الأصلي. يطرح هذا الأمر مشكلة الترجمة وقضاياها المتصلة بالمفاهيم الأصلية والمفاهيم المنقولة والمُعاد إنتاجها في اللسان الهدف نعني اللسان العربي في هذه الحال[1].

وقد نتج عن ذلك وعي قاصر بطبيعة القضية وأبعادها وأدى إلى تطبيقات خاطئة أيضا[2]، خلافا للمبادرات التوحيدية الرائجة التي كثيرا ما اعتمدت على عينات جزئية محدودة كماً وكيفاً وزماناً ومكاناً[3].

ثم إن وضع المصطلحات اللغوية الدالة على ما يستجد من مبتكرات، سواء في مجال العالم المادي أو في مجال المتصورات والمفاهيم، قد كان الهدف الأساسي الأول الذي تأسست من أجله مجامع اللغة العربية في الوطن العربي[4].

ثم بعدها تعددت المؤسسات المعنية بوضع المصطلحات في العالم العربي، واختلفت توجهاتها منها: مؤسسات ذات أهداف لغوية، ومؤسسات ذات أهداف علمية أو تقنية أو ثقافية، ومؤسسات ذات أهداف تجارية[5].

بين المصطلح والمفهوم، حدود التمايز

ليس بغريب أن تكون مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومنتهى مقاصدها، ومجمع خصائصها المعرفية وعنوان ما يتميز به كل حقل معرفي عن سواه.

جاء في تاج العروس للزبيدي: الفَهْمُ: تصوُّر المعنى من اللفظ، وقِيل هيئة النفس يتحقق بها ما يَحْسُنُ[6]. وفي المعجم الفلسفي اعتبر جميل صليبا المفهوم هو: "ما يمكن تصوره، وهو عند المنطقيين ما حصل في العقل، سواء حصل فيه بالقوة أم بالعقل"[7].

والمفهوم حسب تعبير الباحث خالد اليعبودي هو: "وحدة فكرية يعبر عنها مصطلح أو رمز حرفي أو أي رمز

1- الميساوي، خليفة (2013) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى ص. 27.

2- هليل، محمد حلمي (2003) التقييس المصطلحي في البلاد العربية، مجلة اللسان العربي، المجلد 7، ع 145–، ص. 5.

3- الحمزاوي، محمد رشاد (1999) رؤية عربية لتوحيد المصطلح العلمي وتقييسه، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 90، ص. 180.

4- المسدي، عبد السلام (2006) حوار المشارقة والمغاربة، كتاب العربي، الجزء الثاني، العدد 66، الطبعة الأولى الكويت، ص.29.

5- نفسه، ص. 176.

6- *تاج العروس من جواهر القاموس*، باب الميم، الجزء الثالث والثلاثون، تحقيق إبراهيم الترزي، مراجعة، محمد سلامة رحمة – مصطفى حجازي – عبد اللطيف الخطيب، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون، التراث العربي، الكويت ط1، 2000، ص. 224.

7- صليبا، جميل (1982) المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص. 403.

آخر" أو أنه " وحدة ذهنية ناتجة عن توافق الموضوعات الفردية التي تضم سمات مشتركة"[1]. وعليه يعد المفهوم بناء عقليا أو تجريدا ذهنيا أو صورة ذهنية يُنشِئها العقل نتيجة تعميم لسمات وخصائص مجردة مشتركة، استُنْتِجت من أشياء مختلفة تتقاطع في صفة معينة.

وما يجب التنبيه إليه، أنه مثل ما حصل من اختلاف الدارسين حول لفظة *مصطلح* فيما يخص الاتفاق عن دال قار له كالاصطلاح والمصطلح أو الحدود الأسماء...إلى غير ذلك، فإن المفهوم نفسه لم يسلم من اضطراب على مستوى التسمية، وذلك لاعتبارات لغوية ومعرفية وزمنية في الآن نفسه.

توجد مجموعة من العوائق التي تقف أمام تأسيس المفهوم المصطلحي العربي اللساني، حيث يمكن أن نرجع حسب تعبير الباحث خالد اليعبودي عدم تأسيس المفهوم المناسب للمصطلح في الدراسات العربية إلى المسائل التالية[2]:

غياب المعاجم المختصة القائمة على التعريف المصطلحي والتقييس.

غياب البنوك المصطلحية الفاعلة.

عدم تهيئة اللغة العربية ومواكبتها لتطور العلوم.

ضعف القرارات الصادرة من المؤسسات المعنية بالمصطلح وباللغة العربية عامة.

عدم التنسيق بين المؤسسات المعنية ومراكز البحث العلمي ومؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي.

ضعف الترجمات وكثرة أخطائها التي شاعت بين القراء والباحثين.

عدم الموضوعية في تعيين المشرفين على المؤسسات المعنية.

عموميات في اللسانيات الاجتماعية (sociolinguistics) واجتماعية اللغة (sociology of language)

حين نستعرض بعضا من التعريفات التي وضعها اللغويون للغة تبين لنا بروز الجانب الاجتماعي في معظم هذه التعريفات: يعرف ابن جني اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[3].

إن ما اصطلح عليه اللسانيات الاجتماعية (sociolinguistics) واجتماعيات اللغة (sociology of language)، خضعت للكثير من التطور والصقل، وقد أعيد النظر في صياغة اسم لهذا المجال، حتى أضحى العرف اللساني يسميها وينعتها بمصطلح مُركبها الاقتراضي السوسيولسانيات لذا كان لزاما على الباحثين بذل جهد مضاعف لتحديد مفاهيمها وجعلها أكثر دقة على سبيل المثال فإن فرع اللسانيات الاجتماعية نفسه قد انقسم إلى ثلاثة علوم فرعية هي: اللسانيات الاجتماعية الوصفية واللسانيات الاجتماعية التاريخية، واللسانيات الاجتماعية التطبيقية.

إن الموضوع الأول للدرس السوسيولساني هو دراسة الترابطات بين استعمال اللغة والبنية الاجتماعية، ويختلف موضوعها الجوهري عن تخصصات أخرى تهتم باللغة، وعلى الخصوص، عما يسمى أحيانا باللسانيات المستقلة أو اللسانيات النظرية، وعن اللسانيات النفسية واللسانيات العصبية التي تهتم تباعا بالعقل البشري، وباكتساب الفرد للغة

1- اليعبودي، خالد (2006) آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس، الطبعة الأولى، ص. 19.

2- اليعبودي، خالد (2006) آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات، ص. 81-82.

3- الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، الجزء الأول، المكتبة العلمية، الطبعة الثانية، 1952 ص. 22.

واستعماله لها، وبالجهاز البيولوجي لتخزين اللغة ومعالجتها[1].

وبما أن السوسيولسانيات هي أرضية للغويين وعلماء الاجتماع، والذين يحاول بعضهم فهم المظاهر الاجتماعية للغة، بينما الآخرون يهتمون بالدرجة الأولى بالمظاهر اللغوية للمجتمع، ليس من المفاجئ أن يكون هناك، كما كان دائما، مركز للجاذبية (Centers of Gravity)، معروفة بالميكرو والماكرو- سوسيولسانيات، أو بعبارة أخرى السوسيولسانيات بالمعنى الضيق وسوسيولوجية اللغة... إذ إن الميكرو- قضايا يشتغل بها اللغويون وعلماء اللهجات، وآخرون معنيون بمجالات محورها اللغة بينما الماكرو- قضايا غالبا ما يشتغل بها علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعيون[2].

تعتبر اللسانيات الاجتماعية- أو قل علم اللغة الاجتماعي أو السوسيولسانيات- كما قال جون دوبوا (1994) Jean dubois في معجمه جزء من اللسانيات العامة التي يتقاطع مجال دراستها مع الاثنولسانيات، كما يتقاطع مع علم اجتماع اللغة، وجغرافية اللغة وعلم اللهجات[3].

بيد أنه ثمة فرق بين اللسانيات وعلم الاجتماع، فالأولى تعنى بدراسة اللسان "بوصفه نسقا من العلامات"، أما الثاني فيهتم بدراسة اللغة "بوصفها ممارسة اجتماعية"، ويستهدف علم الاجتماع اللساني الملاحظة العينية، ووصف تحولات اللسان انطلاقا من متغيرات الممارسة الاجتماعية للسان[4].

إن اللسانيات الاجتماعية في دراسة الظواهر اللغوية عن اللسانيات العامة، فهي لا تدرسها دراسة موضوعية معزولة عن البيئة اللغوية تختلف كما هو الحال للسانيات العامة، وإنما "تدرس اللغة باعتبارها "تتحقق" في "مجتمع"، أي أنها تدرس الظاهرة اللغوية حين يكون هناك "تفاعل" أي لا بد أن يكون هناك "متكلم" و"مستمع"، أو متكلمون ومستمعون، وإذن لا بد أن يكون هناك "موقف" لغوي "يحدث" فيه الكلام وتتنوع فيه "الأدوار" والوظائف وفق "قواعد" متعارف عليها، داخل المجتمع[5].

ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالا شديدا بالعلوم الاجتماعية، وأصبحت بعض بحوثه تدرس في علم الاجتماع، فنشأ لذلك فرع يسمى "علم الاجتماع اللغوي" يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبين أثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية المختلفة[6].

إن أول ما نجلوه ونحن بصدد استقراء الترجمات العربية، أنّ دراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية وعنصرا أو مكونا من مكونات الثقافة قد حظيت بنوع من الاستقلال ونوع من الاهتمام الخاص وأصبح لها علم معترف، اصطلح عليه ب *اللسانيات الاجتماعية*، وهو العلم الذي "يدرس اللغة في علاقتها بالمجتمع"[7].

يعرف بيتر ترادجل (2003) Peter trudgill (sociolinguistics) بأنها: "تلك الشعبة المتفرعة عن علم اللسانيات

1- فلوريان كولماس (2009) دليل السوسيولسانيات، ترجمة، خالد الأشهب ومجدولين النهيبي، مراجعة، ميشال زكريا المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى بيروت، ص. 14.

2- فلوريان كولماس (2009) دليل السوسيولسانيات، ص. 14.

3 - Jean dubois et autres (1994) dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, p . 435 .

4- ماري نوال غاري (2007) المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ترجمة، عبد القادر فهيم الشيباني، الطبعة الأولى، سيدي بلعباس، الجزائر، ص. 99.

5- عبد التواب، رمضان (1997) مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط، 3، ص. 125.

6- المسدي، عبد السلام (1984) اللسانيات من خلال النصوص، ط، 1، الدار التونسية للنشر، ص. 172.

7- هدسون (1990) علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمد عياد، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ص. 17.

التي تُعنى باللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية وحضارية. فهي تدرس التبادل الجدلي القائم بين اللغة والمجتمع، وتستند إلى علوم أخرى مساعدة، كعلم الاجتماع والأنثربولوجيا والجغرافيا البشرية وعلم النفس الاجتماعي"[1]. كما يعرفها جون لاينز John Lyons (1981) قائلا: "هي دراسة اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع"[2].

ويذكر ديفيد كريستال David crystal (2008) أن اللسانيات الاجتماعية تقوم بدراسةِ كافة نواحي العلاقة بين اللغة والمجتمع، وأنها تقوم بدراسة قضايا معينة مثل: الهوية اللغوية للجماعات الاجتماعية والميول الاجتماعية نحو اللغة، والأشكال اللغوية النموذجية وغير النموذجية، ونماذج استعمال اللغة القومية وأغراضها، والتنوعات الاجتماعية للغة ومستوياتها، والأسس الاجتماعية للتعدديّة اللغوية ..الخ. والاسم البديل الذي يوحي باهتمامٍ أكبر بالتفسيرات الاجتماعية بدلاً من التفسيرات اللغوية للقضايا المذكورة هو اجتماعيّات اللغة (sociology of language)[3].

فتؤثر هذه القضايا في مجرى اللسان ودلالته ووظائفه الاتصالية والتواصلية[4]. ويُستند ذلك إلى الأهمية التي يوليها الدارس للغة أم المجتمع وإلى مدى مهارته في تحليل البنية اللغوية أو الاجتماعية وهناك قدر كبير من التطابق بين هذين العلمين[5]. إن ما يهم اللسانيات الاجتماعية هو دراسة القوانين الثابتة والمطردة والمعيارية التي تتحكم في اللغة المجتمعية، برصد نشأتها وتطورها وما يعتورها من شؤون؛ واستكشاف مبلغ تأثرها بما عداها من الظواهر الاجتماعية الأخرى[6].

وإن الصعوبة التي تعيق اللسانيات الاجتماعية هي أنها علم لا يمكن دراسته بمعزل عن العلوم الأخرى، فهناك فريق يقول أن تداخل اللسانيات الاجتماعية مع باقي العلوم يعطيها قوة معرفية، يشير كريستال إلى أن ثمة تقاطعاً بين مصطلح اللسانيات الاجتماعيّة ومصطلح اللسانيات الإثنولوجية (ethnolinguistics) ومصطلح اللسانيات الأنثروبولوجيّة ((anthropological linguistics. وفي تعريف (ethnolinguistics) يقول إنه فرع يقوم بدراسة اللغة من حيث علاقتها بالأنماط والسلوكيات العرقيّة[7].

حقيقة الأمر أنّ هذه المصطلحات السابقة كلّها ليس لأي منها استقلال أو كيان منعزل، فكلّها بمسمياتها متداخلة وذات صلة وقرابة وثيقة من حيث مواضيع الدّرس والهدف وطبيعة العمل فيها فكما هو واضح فإن سعة اهتمامات علم اللسانيات الاجتماعية متعددة، وعلى الرّغم من حداثته، إلا أنه يشمل عدد لا بأس به من التشعبات، وأمام هذا التطور الظاهر والهائل كان منطقيا أن يتم الاعتناء بالمصطلحات اللسانية الاجتماعية لكي يكتمل الجهاز المفاهيمي للسانيات العربية، ولكي تكون أيضا مميزة لقضاياه.

وتلخيصا لما سبق، يمكن الخروج بخلاصة مفادها أن كلا من المجالين: اللسانيات الاجتماعية واجتماعيات اللغة، يوازي أحدهما الآخر ويكمله، والدليل على ذلك أنه إذا كانت اللغة تمثل الرائز أو التيمة الرئيسية في معادلة اللسانيات الاجتماعية، فإن الرائز أو التيمة الرئيسية لـ اجتماعيات اللغة هي المجتمع.

بمعنى آخر يهتم *علم* اللسانيات الاجتماعية بدراسة التشابهات والاختلافات اللغوية بين الأفراد والجماعات

1- Peter Trudgill (2003) A Glossary of Sociolinguistics; Edinburgh University Press p.123.

2-John, Lyons (1981) Language and linguistics, An Introduction.Cambridge, Cambridge University Press, p. 267.

3-Crystal, D (2008) A Dictionary of Linguistics and Phonetics, 6th edution, Blackwell Publishers Ltd, (sociolinguistics), p. 440,441.

4- الميساوي، خليفة (2013) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص. 29.

5- هدسون (1990) علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمد عياد، ص. 17.

6- عبد الواحد وافي، علي (1971) اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ص. 6.

7- هدسون (1990) علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمد عياد، ص. 17.

والبحث في أسبابها؛ كما يهتم بدراسة الطرق التي تنتقل فيها الصفات اللغوية من جيل إلى آخر، خلال مراحل تشكل الفرد داخل المجتمع، عكس مصطلح اجتماعيات اللغة الذي يهتم بـ "دراسة المجتمع في علاقته باللغة"[1].

وإذا كانت اللسانيات الاجتماعية قد شهدت تطورا ملحوظا في الآونة الأخيرة، فهي في حاجة ماسة إلى دراسة أكبر من أجل تحسين جهازها المفاهيمي ومده بالأدوات الكافية والكفيلة لاستئناف العمل من جديد، بحيث لا يمكن وضوح قوانين وقضايا هذا العلم ما لم يتحدد جهازه المفاهيمي بشكل دقيق، ذلك أنها توظف حقلا من المفاهيم التي على كل دارس أن يعرفها.

خاتمة

شكّل المصطلح -على مر السنين- قاعدة جوهرية في بناء لسانيات جادة وفعالة، دفع بالعلماء إلى العناية به والحرص على تعريفه وتحديد مفهومه وتوضيح المراد به، لما يتمتع به من دور حاسم في ضبط المفاهيم وتوضيح الدلالات والرؤى، ووفقا لهذه الخصوصية التي يتميز بها المصطلح، فقد أضحت المسألة، مسألة ملحة تشغل بال العلماء والباحثين، مما أدى إلى جعل هذا المجال علما قائما بذاته يتشكل فيه المصطلح، ويوجه مفهومه ويحدد دلالاته.

لقد قامت الدراسة بعرض مفهوم المصطلح وعلاقته بالمفهوم أو ما يعرف في الدراسة اللسانية بعلاقة الدال بالمدلول، بيد أن الحديث عن المصطلح وماهيته وإشكالية حدوده، جرنا إلى الحديث عن الفرق بين اللسانيات الاجتماعية واجتماعية اللغة.

1- فلوريان كولماس (2009) دليل السوسيولسانيات، ترجمة، خالد الأشهب ومجدولين النهيبي، ص. 14

قائمة المصادر والمراجع:

- الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، الجزء الأول، المكتبة العلمية، الطبعة الثانية، 1952.
- المسدي، عبد السلام (1984) اللسانيات من خلال النصوص، ط، 1، الدار التونسية للنشر.
- المسدي، عبد السلام (2006) حوار المشارقة والمغاربة، كتاب العربي، الجزء الثاني، العدد 66، الطبعة الأولى، الكويت.
- الميساوي، خليفة (2013) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى.
- تاج العروس من جواهر القاموس، باب الميم، الجزء الثالث والثلاثون، تحقيق إبراهيم الترزي، مراجعة، محمد سلامة رحمة – مصطفى حجازي – عبد اللطيف الخطيب، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون، التراث العربي، الكويت ط1، 2000.
- عبد التواب، رمضان (1997) مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط، 3.
- عبد الواحد وافي، علي (1971) اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى.
- صليبا، جميل (1982) المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- فلوريان كولماس (2009) دليل السوسيولسانيات، ترجمة، خالد الأشهب ومجدولين النهيبي، مراجعة، ميشال زكريا المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت.
- ماري نوال غاري (2007) المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ترجمة، عبد القادر فهيم الشيباني، الطبعة الأولى، سيدي بلعباس، الجزائر.
- هليل، محمد حلمي (2003) التقييس المصطلحي في البلاد العربية، مجلة اللسان العربي، المجلد 7، ع 145.
- هدسون (1990) علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمد عياد، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية.
- اليعبودي، خالد (2006) آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس، الطبعة الأولى.ذ
- الحمزاوي، محمد رشاد (1999) رؤية عربية لتوحيد المصطلح العلمي وتقييسه، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 90
- Crystal, D (2008) A Dictionary of Linguistics and Phonetics, 6th edution, Blackwell Publishers Ltd, (sociolinguistics).
- Jean dubois et autres (1994) dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris.
- John, Lyons (1981) Language and linguistics, An Introduction.Cambridge, Cambridge University
- PressPeter Trudgill (2003) A Glossary of Sociolinguistics; Edinburgh University Press